الدرس السادس. ماستر 2 تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي

مقياس التواصل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي. د سي عبد القادر

مظاهر التواصل الثقافي.

لقد نتج عن حركة الاتصال والعلاقات السياسية والثقافية بين المشرق والمغرب مجموعة من المظاهر في ميادين مختلفة دينية وعلمية وفنية وغيرها، وان كانت هذه المظاهر في العهود الأولى بعد الفتح كانت لصالح المشرق الا ان بعد ذلك عندما تأسست الدول المستقلة في بلاد المغرب، ساهمت بلاد المغرب في الازدهار الثقافي الذي شهدته بلاد المشرق،

1 المظاهر الدينية. لقد نتج عن التواصل بين المشرق والمغرب انتشار المذاهب والفرق الدينية، ففي المرحلة الأولى بعد انتشار الإسلام في بلاد المغرب ونظرا للصراعات التي شهدته الخلافة الإسلامية وظهور المعارضة السياسية فقد تأثرت بلاد المغرب بهذه الظروف ،حيث وجد دعاة هذه الفرق الظروف مناسبة لنشر أفكارهم (تم التطرق لهل في المحاضرات السابق) ومن هذه الأفكار التي انتشرت في بلاد المغرب الفكر الخارجي و المذهب الشيعي، ونظرا لحركة العلماء نحو المشرق فقد انتشرت المذاهب الدينة كذلك، حيث كان العلماء هم من نقلوها الى بلدانهم بعد ان اخذوا من علماء المشرق، ومن هذه المذاهب مذهب الاوزاعي (الاوزاعي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، امام أهل الشام.. من كتاب الصفدي الوافي بالوفيات، ج 18) الذي ادخله الى الاندلس بعد الفتح صعصعة بن سلام المتوفى سنة 192هـ.

كما انتقلت أيضا الى بلاد المغرب المذاهب السنية بعد ان انتشرت في بلاد المشرق وقد عمل الفقهاء والعلماء على تشجيع هذه المذاهب خدمة للتوجه السياسي العام الذي كان يميل الى تشجيع وحدة المذاهب، ومن المذاهب الأساسية التي عمت بلاد المغرب المذهب المالكي، فرغم محاولة الدولة الموحدية تشجيع المذهب الظاهري (ينسب الى ابن حزم الاندلسي) ومحاربة المذاهب السنية خاصة المذهب المالكي الذي كان مذهب الدولة المرابطية، وبعد سقوط الموحدين عاد المذهب المالكي لبلاد المغرب، حيث أصبحت كتب المالكية هي أساس التدريس ومنها الموطأ للأمام مالك والتلقين لعبد الوهاب البغدادي والعتيبة

للعتيبي والمدونة للإمام سحنون والرسالة لأبي زيد القيرواني، وهي كتب بعضها مشرقي وبعضها مغربي، كما ادخل العلماء بعض الكتب الأخرى من بلاد المشرق منها مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل (ألفه الشيخ ابن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري، وهو مصنف في الفقه المالكي استغرق في تأليفه 25سنةن انب مريم البستان).

وهكذا شهدت بلاد المشرق والمغرب وحدة المذاهب السنية واختفاء باقي المذاب الاخرى

حيث كان لدور الحكام دور بارز في تشجيع هذه المذاهب من خلال تقريب علماء وفقهاء هذه المذاهب خاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية في بلاد المشرق وسقوط الموحدين في بلاد المغرب، هذه الوحدة المذهبية جعلت علماء بلاد المغرب يرتحلون الى المشرق ويزاولون وظائف عديدة هنا بالدرجة الأولى قضاء المالكية، كما هو الحال لابن خلدون الذي تولى القضاء في مصر. (ابن خلدون ورحلته غربا وشرقا)

ـ انتشار التصوف، رغم ان التصوف ظهر في بلاد المشرق حوالي القرن الثاني الهجري، وكان بمعنى الزهد والانصراف عن الدنيا ومتاعها والعناية بأمور الدين، وغايته الظفر برضوان الله تعالى، وكان الزهد هو النواة الأولى للتصوف ثم تطور بعد ذلك الى المفهوم الاجتماعي بعد خروجه عن مفهومه الديني المحض. (ابن خلدون المقدمة)

لقد دخل التصوف الى بلاد المغرب عن طريق العلماء الذين رحلوا الى بلاد المشرق أو عن طريق الحجاج وطلبة العلم، فبعد اطلاعهم على حركة التصوف في المشرق فنقلوا بعض مصنفات التصوف الى المغرب وابرزها احياء علوم الدين.

ونظرا لانتشار التصوف في المشرق فقد رحل العديد من رجال التصوف من بلاد المغرب الى المشرق، ومن هؤلاء ابن سبعين الاندلسي وأبو الحسن الششتيري صاحب كتاب المقاليد الوجودية في اسرار الصوفية، كما رحل الفقيه الصوفي علي بن أحمد بن حديدة الاندلسي المتوفي في بيت المقدس سنة 719هـ.(المقري نفح الطيب)

ومن العوامل التي شجعت على انتشار التصوف سواء في المشرق أو المغرب هو كثرة الاعتقاد في رجال التصوف، فوجد رجال التصوف الظروف المناسبة لنشر أفكارهم، إضافة الى تقريب الحكام والسلاطين لرجال التصوف من مجالسهم واسسوا لهم الزوايا والربط وحبيس الأموال والغلات عليها.

ومن أبرز الطرق الصوفية التي انتشرت في المشرق والمغرب، الطريقة القادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ انتشرت في بلاد الشام ومصر ثم انتقلت الى بلاد المغرب، وقد أخذ هذه الطريقة أبو مدين شعيب الاشبيلي دفين تلمسان، وقد تفرع عنها طرق صوفية عديدة في المغرب والمشرق. (ابن كثير البداية والنهاية ج12).

الطريقة الشاذلية أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي الذي يعود أصله الى بلاد المغرب رحل الى مصر، وقد عرفت هذه الطريقة رواجا كبيرا خاصة في بلاد المغرب، وتعد امتداد لطرقة أبي مدين شعيب.

أما الطريقة الاحمدية فرغم أنها ظهرت في مصر فإن مؤسسها مغربي الأصل وهو السيد أحمد البدوي المتوفى سنة 675هـ.

إن انتشار التصوف في المغرب والمشرق يدل على ذلك التواصل الثقافي الكبير بين المغرب والمشرق، فقد تعددت اللقاءات بين رجال التصوف كما تأثر بعضهم ببعض، وتبادل مؤلفات التصوف، وتولى بعض متصوفة المغرب التدريس والامامة بالمؤسسات الدينية في المشرق، وأصبح لهؤلاء أثر كبير في المجتمع وحتى لدى السلاطين. (عبد الرحمن بلعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدولة المماليك)